

ASRĀR AL-TAQDĪM WA AL-TA'KHĪR FĪ KALIMATAY AL-ZULUMĀT WA
AL-NŪR FĪ AL-QUR'ĀN AL-KARĪM: DIRĀSAH DALĀLAT AL-ALFĀZ AL-
QUR'ĀNIYYAH

Ihwan Agustono

University of Darussalam Gontor, Ponorogo Indonesia
Ihwan_agus@unida.gontor.ac.id

Nizhamullah Muhammad Al Islam

Universitas Darussalam Gontor, Ponorogo Indonesia
Nizham.alamy@gmail.com

| | | |
|----------------------------------|---------------------|----------------------|
| DOI 10.32505/at-tibyan.v9i1.7531 | | |
| Submitted: 08-12-2023 | Revised: 24-06-2024 | Accepted: 29-06-2024 |

Abstract

The terms al-Zulumat and al-Nur, which are both derived from the Qur'an, are discussed in this article. There is a strong relationship between these two phrases. When these two words are mentioned together, the word al-Zulumat always appears in the plural form while the word Al-Nur always appears in the Singular form, which shows that this Qur'anic phrase identifies the plural or singular form based on the source or origin of the word. In research on the lafadz al-Zulumat and al-Nur, the Munasabah verses approach which does not delve beyond the meaning of a word explanation is frequently utilized. As a result, the author's methodological strategy for conducting this field research comprises a semantic-linguistic analysis of both phrases. This literature study uses qualitative research methods, by collecting various data from books, journal articles and other relevant documents related to the semantic topic of the Al-Qur'an. The aim of this research is to examine the secrets contained in the words al-Zulumat which are often compared with the words al-Nur. The research conducted found that these two expressions combined signify the sequential emergence of direction as well as the process of creation. This article is important for exploring the linguistic and rhetorical special that exists in Al-Qur'an phrases, especially in the words al-Zulumat and Al-Nur.

Keywords: *Taqdim and Ta'khir, Semantic, The Qur'an, al-Zulumat, Al-Nur*

Abstrak

Artikel ini menganalisis dua frasa dalam Al-Qur'an yang memiliki ikatan yang kuat antara satu dan yang lainnya, yaitu lafadz al-Zulumat dan al-Nur. Ketika kedua kata ini disandingkan, Kata al-Zulumat selalu muncul dalam bentuk plural sedangkan kata Al-Nur selalu muncul dalam bentuk singular yang mana menunjukkan bahwasannya frasa al-Qur'an ini mengidentifikasi plural ataupun singular berdasarkan sumber atau asal kata tersebut. Pada umumnya penelitian tentang lafadz al-Zulumat dan al-Nur melalui metode Munasabah ayat sehingga tidak menganalisa secara detail makna dari suatu kata. Oleh karena itu peneliti hendak melakukan penelitian yang berbeda dengan menggunakan pendekatan linguistic terhadap semantik al-Qur'an. Tujuan dari penelitian ini adalah untuk mengkaji rahasia yang terkandung dalam kata-kata al-Zulumat yang sering disandingkan dengan kata al-Nur tersebut. Studi kepustakaan ini menggunakan metode penelitian kualitatif, dengan mengumpulkan berbagai data dari buku, artikel jurnal, dan dokumen-dokumen lain yang relevan terkait topik semantik Al-Qur'an. Penelitian ini menemukan bahwa ketika kedua kata ini disebutkan secara bersamaan menandakan bahwasannya kedua kata ini memiliki keterikatan yang mana menunjukkan adanya sebuah proses datangnya hidayah dan sebuah proses urutan terciptanya suatu ciptaan. Artikel ini penting untuk mendalami keajaiban linguistik dan retorik yang ada dalam frasa Al-Qur'an khususnya pada kata al-Zulumat dan Al-Nur.

Kata Kunci: *Taqdim dan Ta'khīr, Semantik, al-Qur'an, al-Zulumat, Al-Nur*

مقدمة البحث

وقد جاء في القرآن أن الكلمات والعبارات مرتبة حسب ترتيب معين، كما جرت العادة في الكتابة. ومثال ذلك ما ورد في عبارة "الظلمات والنور" في سورة الأنعام، قال الله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. مدح الله تعالى من خلق السماوات والأرض وافرقت بين الظلمات والنور. ويتحدث فخر الدين الرازي في كتابه "مفاتيح الغيب" عن الحكمة من ترتيب ذكر الظلام والنور.¹ وردت كلمة "الظلمات" في القرآن 23 مرة،² بينما وردت كلمة

¹ Abū 'Abdullāh Muḥammad bin 'Umar bin Al-Hasan bin Al-Husain bin 'Alī Al-Rāzī. Al-Ṭabaristānī, *Mafāṭīḥ al-Gaib* (Lubnān: Dār al-Fikī, 1041), 159.

² Muḥammad Fuḥād 'Abd. Al-Bāqī, *Al-Mu'jam al-Mufāhras li al-Fāzī al-Qur'ān al-Karīm* (Mesir: Dār al-Ḥadīṣ, 2007), 538–39.

"النور" ومشتقاتها 43 مرة.³ وموضع هذه الكلمات في مختلف السور والآيات يدل على الترتيب المتعمد للكلمات مقدما ولاحقا. ويؤكد الذكر المتزامن للظلمة والنور في سور مختلفة على هذا المفهوم. عشر آيات تذكر الظلمات والنور على وجه التحديد، منها ما في سورة البقرة، سورة المائدة، الأنعام، سورة الرعد، سورة إبراهيم، سورة الأحزاب، سورة فاطر، سورة الظلمات. الحديد، وسورة الطلاق.

ويرى الباحث أن هناك نوعين من التقديم والتأخير: الأول هو تقدم الكلمة على وكيلها، والثاني هو تقدم الكلمات بعضها على بعض بغير عامل. وكلمات الظلام والنور تندرج تحت النوع الثاني. يتميز القرآن الكريم بدقة مواضع الكلمات وترتيبها مما يظهر دقة ملحوظة. في بعض الأحيان، قد تكون هناك مقدمات وتأخيرات عامة، حيث تتطلب مواقف معينة إدخال كلمات محددة في سياق معين لإنشاء تعبيرات جميلة وكاملة. وسيتم تفصيل هذا المفهوم في شرح شامل. وكما ذكرنا، فإن القرآن يقدم الكلمات ويؤخرها بشكل استراتيجي بناءً على الموقف. على سبيل المثال، قد يعتمد ترتيب الكلمات على أهميتها التاريخية أو أولويتها في الوجود، مثل تفضيل الجن على الإنس في سورة الذاريات، الآية 56.⁴

بشكل عام يستخدم أكثر الباحثين تحليلاً دقيقاً لتلك الآيات القرآنية لفحص مصطلحي الظلام والنور. ومع ذلك، فإنهم غالباً يفشلون في الكشف عن الأهمية الدقيقة لهذه المفاهيم. ونتيجة لذلك، لجأ الباحث في هذه الدراسة إلى التحليل الدلالي لفهم بياناته، وهو أمر بالغ الأهمية لفهم مفهومي التقدم والعائق وتوضيح معناهما الحقيقي.

وإذا نظر الباحث إلى كلمتي "الظلمات والنور" في الآيات المكتوبة، فإن كلمة "الظلمات" بصيغة الجمع وكلمة "النور" بصيغة المفرد، فإن استخدام هذه الصيغة يدل على أن القرآن لها غرض معين. وعندما يتم وضع كلمتي "الظلمة والنور" جنباً إلى جنب، فهذا يدل على أن استخدامهما موجه. على عكس ما يحدث عند قراءة كلمتين جزئياً، لا توجد عملية موجهة. التوجيه في معايير اللغة له معنى التوجيه أو التوجيه العام.⁵ أما كتاب لسان العرب فقد معناه.⁶ وتعريفه مشرق أو نور أو هدى.⁷

³ Al-Bāqī, 817–18.

⁴ As-Samraī, "Fadil Soleh, Asrar at-Ta'bir al-Qur'ani," *Jami'ah Sariqah*, 2002, 89.

⁵ Zakariyyā, *Abū Al-Husain Ahmad bin Fāris. Maqāyīsu al-Lughah, Al-Juz al-Sādis, Al-Ṭab'ah al-Sāniyah* (Bairūt: Dār al-Fikri, 1979), 42.

⁶ Abū Al-Faḍīl Jamāl al-Dīn bin Muḥammad bin Mukram bin Manzūr Al-Fikrī Al-Miṣrī, *Lisān al-'Arab* (Bairūt: Dār al-Šādir, s.l, n.d.), 2759.

⁷ Al-Miṣrī, 4571.

من فهم الإرشادات المذكورة أعلاه، يتبين أن هناك علاقة إرشادية أو اتصال بين الظلام والنور. وقد أدخل الله تعالى كلمتي "الظلمة" و"النور" في كتابه عز وجل على سبيل الهداية. وهذان العنصران يعتبران مهمين، لذلك تم ذكرهما صراحة بهذه الطريقة، وعلى شكل الظلام أولاً ثم النور. العلاقة بينهما متشابهة.

تعريف التقديم والتأخير في القرآن

جاءت كلمة التقديم من الفعل الثلاثي: قدم، وتقدم، قال الله تعالى في سورة هود الآية الثامنة والتسعين ﴿يَقْدِمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ و﴿أَقْدَمَ﴾ على الأمر، و﴿الإِقْدَامُ﴾ الشجاعة، و﴿قَدَّمَ﴾ بين يديه أي تَقَدَّمَ، قال الله تعالى في سورة الحجرات الآية الأولى ﴿ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وفي لسان العرب في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَبِيمًا﴾ قال الفراء عن تلك الآية أن فيها تأخير أريد به تقديم.⁸

والتقديم نقيض التأخير، ومنه قوله تعالى في سورة القيامة الآية الثالثة عشرة ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾، والتأخير ضد التقديم ونقيضه ومؤخر كل شيء: خلاف متقدمه أو مقدم، يقال: ضرب مقدم رأسه ومؤخره. ومنه قوله تعالى في سورة نوح الآية الرابعة ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، يقال: قدم أو تقدم. قال الله تعالى ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهذا من تعظيمه صلى الله عليه وسلم أن لا يقدم المؤمن بين يدي الله ورسوله. والمصدر: تقديم وتقدمة، على (تفعلة) بكسر العين.⁹ ومن أسماء الله تعالى (المقدم)، ومعناه: هو الذي يقدم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدمه.¹⁰ قال عبد الرحمن آل السعدي: المقدم والمؤخر من أسماء الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقرونا بالآخر فإن الكمال من اجتماعهما فهو تعالى المقدم لمن شاء

⁸ Al-Miṣrī, 332.

⁹ Ibn Sa'id Al-Humayri Al-Yamani, *Syams Ulum wa Dawa'i Kalam Al-Arab min Al-Kalum*, vol. Juz 8 (Beirut: Dar Al-Fikr Al-Mu'asyir, 1999), 5408.

¹⁰ Mujid Al-Din Abu Al-Sa'adat, *Jami' Al-Usul fi Ahadis Al-Rasul*, vol. Juz 4 (Damaskus: Maktabah Al-Hilwani, 1972), 25.

والمؤخر لمن شاء بحكمته. وهذا التقديم يكون كونيا كتقديم بعض المخلوقات على بعض وتأخير بعضها على بعض، كتقديم الأسباب على مسبباتها والشروط على مشروطاتها.¹¹

والتقديم والتأخير من مظاهر النظم بل هو لبّه؛ إذ قد عرّف النظم بأنه: تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتمدة دلالاتها على ما يقتضيه العقل.¹² أو هو (ترتيب الألفاظ في النطق تبعاً لترتيب المعاني في النفس).¹³ فمقام التقديم يبين مقام التأخير، كما يبين الحذف مقام الذكر، وعليه فإن الحديث عن التقديم هو بذاته حديثٌ عن التأخير؛ لأنّ كلا الطرفين متقابلان، وذكر علّة أحدهما استلزام بالضرورة لذكر المقابل.

ومن هنا فقد يكون الكلام واحداً في مادته وألفاظه؛ لكن ترتيبها هو الذي يختلف إذا اختلف المعنى المراد في نفس المتكلم. ولأهمية هذا الباب، يقول شيخ البلاغة عبد القاهر رحمه الله تعالى عن التقديم والتأخير: (هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترق أي يكشف لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفه ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان).¹⁴

وكذلك يتكلم أبو السعود في أسرار تقديم بعض النصوص وتأخير آخر، وأمثلة هذا وفيرة، منها ما ذكره في تفسير قول الحق سبحانه في سورة البقرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۗ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰلسِقِينَ ﴾ حيث يعلق على تقديم ذكر الإضلال على الهداية، مع كون الأخيرة أشرف حالاً وأرقى رتبةً، فيقول: (وددم الإضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله؛ ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمراً فظيماً يسوؤهم، ويفت في أعضادهم وهو السرُّ في تخصيص هذه الفائدة بالذكر).¹⁵

¹¹ Abdurrahman Bin Nasir As-Sa'di, *Tafsir Asma' Allah Al-Husna* (Madinah: Matba'ah Al-Jami'ah Al-Munawwarah, 2001), 238.

¹² Ali Ali Al-Zain Al-Syarif Al-Jurjani, *Al-Ta'rifat* (Beirut: Dar Al-Maktabah Al-Ilmiyyah, 1983), 232.

¹³ Zainuddin Muhammad Al-Manawi, *Al-Tawfiq Ala Muhimmat Al-Ta'arif* (Cairo: Alim Al-Kutub, 1999), 102.

¹⁴ Abd Al-Qadir Al-Jurjani, *Dalail Al-I'jaz fi Ilmi Al-Ma'ani* (Cairo: Mathba'ah Al-Madani, 1992), 106.

¹⁵ Abu Al-Su'ud Muhammad Muhammad Al-'Amadi, "Irsyad Al-Aql Al-Salim ila Mazaya Al-Qur'an Al-Karim," *Juz 1* (n.d.): 74.

أنواع التقديم والتأخير في القرآن الكريم

المفهوم الفعلي من حيث الدلالة اللغوية للتقديم والتأخير أنه إذا بدأنا بكلمة سابقة على غيرها فقد قدمناها في الكلام. التقديم والتأخير في القرآن نوعان:

أولاً: تقديم اللفظ على عامله:

ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله وتقديم الحال على فعله وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك. وهذا التقديم في الغالب يفيد الإختصاص. ومثل هذا التقديم في القرآن كثير: فمن ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة الآية الخامسة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في سورة الفاتحة، فقد قَدَّمَ المفعول به "إياك" على فعل العبادة وعلى فعل الإستعانة دون فعل الهداية.¹⁶ قلم يقل إيانا اهد كما قال في الأوليين، وسبب ذلك أن العبادة والإستعانة مختصتان بالله تعالى فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان به. وهذا نظير قوله تعالى في سورة الزمر ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ وقوله في سورة البقرة ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فقدم المفعول به على فعل العبادة في الموضعين وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى.

ومثل التقديم على فعل الإستعانة قوله تعالى في سورة إبراهيم الآية الثانية عشرة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ وقوله في سورة هود الآية الثامنة والثمانين ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ فقدم الجار والمجرور للدلالة على الإختصاص وذلك لأن التوكّل لا يكون إلا على الله وحده والإنابة ليست إلا إليه وحده.

ولم يقدم مفعول الهداية على فعله قلم يقل: إيانا اهد كما قال (إياك نعبد) وذلك لأن طلب الهداية لا يصح فيه الإختصاص إذ لا يصح أن تقول اللهم اهديني وحدي ولا تهد أحداً غيري أو حُصني بالهداية من دون الناس وهو كما تقول اللهم ارزقني واشفني وعافني. فأنت تسأل لنفسك ذلك ولم تسأله أن يخصك وحدك بالرزق والشفاء والعافية فلا يرزق أحداً غيرك ولا يشفيه ولا يعافيه.¹⁷

ثانياً: تقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل:

¹⁶ Abu Al-'Abbas Syihab Al-Din Ahmad Yusuf Al-Samin Al-Halbiy, *Al-Durr Al-Masun fi 'Ulum al-Kitab Al-Maknun*, vol. Juz.1 (Makkah: Dar al-Qalam, d.s), 59.

¹⁷ Yusuf Al-Samin Al-Halbiy, Juz.1:199.

إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والإهتمام. فما كانت به عناية متكلم أكبر قدمه في الكلام. والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينة بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال. ولذا كان ينبغي أن يقدم أحد كلمة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذلك. والقرآن أعلى مثل في ذلك فإنه يقدم لفظة مرة ويؤخرها مرة أخرى على حسب المقام. فمثلاً يقدم السماء على الأرض ومرة يقدم الأرض على السماء ومرة يقدم الإنسان على الجن ومرة يقدم الجن على الإنسان ومرة يقدم الضرر على النفع ومرة يقدم النفع على الضرر كل ذلك بحسب ما يقتضيه القول وسياق التعبير.¹⁸

فإنه بيان أسباب هذا التقديم أو ذاك لا يصح الإكتفاء بالقول إنه قدم هذه الكلم للعناية بها والإهتمام دون تعيين مواطن هذه العناية وسبب هذا التقديم.

فإذا قيل لأحد مثلاً: لماذا قدم السماء على الأرض هنا؟ وأجاب لأن الإهتمام بالسماء أكبر ثم إذا قيل له ولماذا قدم الأرض على السماء في هذه الآية قيل لأن الإهتمام بالأرض هنا أكبر، فإذا قيل ولماذا كان الإهتمام بالسماء هناك أكبر وكان الإهتمام بالأرض هنا أكبر؟

وجب على قائل أن يبين سبب ذلك وبيان الاختلاف بين المواطنين بحيث يبين أنه لا يصح أو لا يحسن تقديم الأرض على السماء فيما قدم فيه السماء أو تقديم السماء على الأرض فيما قدم فيه الأرض بياناً شافياً. وكذلك بقية المواطن الأخرى. أما أن يكتفي القائل بعبارة أن هذه اللفظة قدمت للعناية والإهتمام بها فهذا وجه من وجوه الإبهام. والإكتفاء بها يضيع معرفة التمايز بين الأساليب فلا يعرف الأسلوب العالي الرفيع من الأسلوب المهلهل السخيف إذ كل واحد يقول له: إن عناية قائل بهذه اللفظة هنا أكبر دون البصر بما يستحقه المقام وما يقتضيه السياق.

إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلم وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال.

وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن كما في غيره الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب. ولم يكتف القرآن الكريم الذي وضع اللفظة بمراعاة السياق

¹⁸ Lailatul Wardah and Syarifuddin Ala Dzil Fikri, "Al-Taqdim wa Al-Ta'khīr: Linguistic Rules in Quranic Interpretation", *Al-Karim International Journal of Quranic and Islamic Studies* 1, no. uc 2 (September 2023): 181–83.

الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة. إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ وحرصها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك وكذلك مرتعا فيه سياق الكلام والإتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة. وسنوضح هذا القول المجمل ببيان شاف.

إن القرآن كما ذكر يقدم الألفاظ ويؤخرها حسبما يقتضيه المقام فقد يكون سياق الكلام مثلاً متدرجاً حسب القدم والأولية في الوجود، فيرتب الكلمات على هذا الأساس فيبدأ بالأقدم ثم الذي يليه وهكذا وذلك نحو قوله تعالى في سورة الذاريات الآية السادسة والخمسين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فخلق الجن قبل خلق الإنس بدليل قوله تعالى في سورة الحجر السابعة والعشرين ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ فذكر الجن أولاً ثم ذكر الإنس بعدهم.¹⁹

مفهوم الظلمات والنور

تعريف كلمة الظلمات

في معجم مقاييس اللغة الذي ألفه أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا أن معنى "الظلمات" جمع من كلمة الظلمة، مشتق من أصل الكلمة الظاء واللام والميم وهي خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء في غير موضعه تعدياً.²⁰ وأما في المعجم الوسيط معنى الظلمات هي ذهاب النور.²¹ وأما في كتاب لسان العرب يُذكر أن لفظ الظلمات جمع من الظلمة والظلمة بضم اللام بمعنى ذهاب النور، هي خلاف النور.²² ذكر لفظ "الظلمات" في القرآن الكريم 23 مرة.²³ وكان في القرآن الكريم معنى كلمة الظلمات له عدة المعاني بنسبة إلى سياق الآيات المذكورة.

تعريف كلمة النور

¹⁹ Wardah and Fikri, 185.

²⁰ Zakariyyā, *Abū Al-Husain Aḥmad bin Fāris. Maqāyīs al-Lughah, Al-Juz al-Šālīs, Al-Ṭab'ah al-Šāniyah* (Bairūt: Dār al-Fikri, 1979), 468.

²¹ Ibrāhīm Anīs, "Al-Mu'jam al-Wasīṭ, al-Ṭab'ah al-Rābi," 2004, 577.

²² Al-Miṣṭī, *Lisān al-'Arab*, 2759.

²³ Al-Bāqī, *Al-Mu'jam al-Mufahras li al-Fāzi al-Qur'ān al-Karīm*, 538–39.

في معجم مقاييس اللغة يقال أن معنى "النور" مشتق من أصل الكلمة النون والواو والراء وهي إضاءة و اضطراب وقلة ثبات.²⁴ وأما في المعجم الوسيط معنى "النور" هي ضوء.²⁵ وأما معنى النور هو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان دنيوي، وأخروي، فالدنيوي ضربان هما ضرب معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن. ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام الثيرة كالقمر، والنجوم، والنيرات.²⁶ ذكر القرآن الكريم لفظ "النور" و اشتقاقه 43 مرة.²⁷

من البيان السابق استنبط الباحث أنّ معاني القرآن تأتي بعد معرفة سياق الآيات المعينة فيكون معاني الظلمات والنور على شتى المعاني، ومعنى الظلمات: جمع من الظلمة وهي سواد وعدم نور، وعمي، وظلمات ثلاثة وهي أماكن ثلاثة مظلمة، هي البطن، والرحم، والمشيمة، والجهل والشرك، والضلالة. وأما معنى النور: القرآن، والنبي محمد ﷺ، وضوح على وضوح، وإشراق بالغ، وهداية وبيانا للحق.

مفاهيم الآيات القرآنية ما يذكر كلمة الظلمات والنور معا

جعل الظلمات قبل النور

في سورة الأنعام الآية 1 : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

يرى ابن عاشور أن خلقهما تكويناً لإظهار موجودات السماوات والأرض بهما يشير إلى أن الإيثار بالذكر دون غيرهما يكون بحالي المخاطبين بالآية من يكفر ومن يؤمن. ويقارن كلمة الكفر بالظلمة والإيمان بالنور. وهو يؤكد على أن النور يظهر الهدى والحق، قال تعالى في سورة البقرة 257: (يخرجهم من الظلمات إلى النور). هذا يشير إلى أن الظلمات كانت سابقة للنور في تشكيل الوجود، حيث حصل النور بعد خلق الأشياء المضيئة كالشمس والنجوم. يوضح أن الظلمات والنور جمع واحد للاستعمال، حيث لم يرد لفظ الظلمات في القرآن إلا جمعا ولم يرد لفظ النور إلا مفردا. يؤكد أن المعنى في الجمع والمفرد يظهر

²⁴ Zakariyyā, *Abū Al-Husain Aḥmad bin Fāris. Maqāyīs al-Lughah, Al-Juz al-Sādis, Al-Ṭab'ah al-Sāniyah*, 368.

²⁵ Anīs, "Al-Mu'jam al-Wasīṭ, al-Ṭab'ah al-Rābi," 962.

²⁶ *Mufradāt Alfiḥ al-Qur'ān* (Dār al-Qalam, 1430), 827.

²⁷ Al-Bāqī, *Al-Mu'jam al-Mufahras li al-Fāzi al-Qur'ān al-Kaīm*, 817–18.

الجنس، ويذكر أن لفظ الظلمات بالجمع أخف ولفظ النور بالإفراد أخف. وبذلك يستنتج بأن التعريف الجنسي يستوي فيه المفرد والجمع، ويقول إنه لم يبق للاختلاف سبب لاتباع الاستعمال.²⁸

وأما نظرة السديّ، وقاتادة، والجمهور من المفسرين تميل إلى أنّ الظلمات معناها الليل، والنور معناه النهار، وقالت فرقة أخرى بأن الظلمات بمعنى الكفر، والنور بمعنى الإيمان.²⁹

ويؤكد الزمخشري هذا المفهوم أيضًا، مؤكدًا أن الظلمة تنبعث من مادة مضغوظة بينما النور يصدر من النار. ويسلط الضوء بشكل خاص على خصوصية النور، كما يدل على ذلك قوله تعالى: "والملكوت على أجزائه"، أو ربما لكثرة الظلمات، باعتبار أن كل جسم مادي يلقي بظلاله الذي يمثل الظلمة. ومن ناحية أخرى، يوجد الضوء في صورة مفردة، تتمثل في النار.³⁰

تشبيه الكافر بالأعمى والكفر بالظلمات، وتشبيه المؤمن بالبصير والإيمان بالنور

في سورة الرعد الآية 16: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۗ﴾.

وبحسب ابن عاشور، فإن استخدام التشبيه في هذه الآية يسلط الضوء على التناقض الصارخ بين العمى والبصر، والظلمة والنور.³¹ وهذا الاختيار للصورة يجسد جوهر الموقف تمامًا، إذ تعكس حالة المشركين، وهم عميان، ظلمة عجزهم عن إدراك الحقيقة. ومن ناحية أخرى، فإن المؤمنين يشبهون أولئك الذين يستطيعون الرؤية، مما يمثل علمهم والاستنارة والهداية التي يتلقونها. ويوضح ابن عطية في تفسيره أن هذه الآية تشبيه الكفار بالأعمى، فمساواة الكفر بالظلمة، في حين أن المؤمنين ينظر إليهم على أنهم مبصرون، والإيمان يرمز إلى النور. ثم تتحدى الآية الكافرين، وتسألهم هل شهدوا خلقاً غير الله، مما يدفعهم إلى الشك فيما خلق الله، وعبادة الآلهة الباطلة. وردا على ذلك، أمر محمد صلى الله عليه وسلم بالكشف عن صفات الله تعالى باعتباره خالق كل شيء. تؤكد هذه الآية على طبيعة خلق الله الشاملة، التي تشمل

²⁸ Ibnu 'Āsyūr., "Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juz al-Sābi'", n.d., 127.

²⁹ Ibnu 'Atīyah., "Al-Muḥarrar al-Wajīz Fī Tafsīr al-Kitāb al-'Azīz, Al-Mujallad al-Sāni" (Bairūt, n.d.), 266.

³⁰ Al-Zamakhsyari., "Al-Kasysyāf 'an Ḥaqāiq al-Tanzīl wa 'Uyūn al-Aqāwīl Fī Wujūh al-Taḥwīl" (Bairūt, n.d.), 318.

³¹ Ibnu 'Āsyūr., "Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juz al-Sāliṣ 'Asyar," n.d., 114–15.

كل شيء باستثناء صفاته. ويؤكد أنه لا رب غيره، وأن القرآن وصفه بأنه الواحد الأحد. في كيانه ذاته ومن خلال حضوره، فهو متميز عن جميع الكائنات الأخرى. لا إله إلا هو العلي العظيم.³² ويتحدث أبو السعود في تفسيره عن مفهوم الظلمة التي ترمز إلى الكفر والضلال. ومن ناحية أخرى، يمثل الضوء التوحيد والإيمان. إن إدراج حرف الياء في القراءة يؤكد أهمية الاعتراف بالخطأ المحض والضلال في عبادة الأوثان. وهذا البطلان ظاهر للجميع، وتشبيهه من يمارسه بالأعمى الذي لا هدى له. إن أخطائهم لا يمكن إنكارها وهي بمثابة السبب الجذري لتصرفاتهم المضللة، مما يؤدي إلى المزيد من الأخطاء.³³

شبه الكفر بالظلمات والحرور، وشبه الإيمان بالنور

في سورة فاطر الآية 20 : ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾.

يشرح ابن عاشور في كتابه فيما معناه أن الكفر كالظلمة والحر، والمؤمنون كالرؤية، والإيمان كالنور، والمؤمن كالحياة، كما أن المعقولات كالملموسات. وبعد أن يوضح أن القسم لا ينفع الكفار، وأن القسم لا ينفع الكفار، يضرب الفريقين بأمثال تكشف اختلاف أحوالهم، ويضرب هذه الأمثال بحسب صفات الكافرين. فالمؤمنون مبنيون على أحوال الكفر والإيمان، وعلى آثار الإيمان وآثار الكفر.³⁴ شبه الكفر بالظلمات في أنه يجعل الذي أحاط هو به غير متبين للأشياء، فإن من خصائص الظلمة إخفاء الأشياء، والكافر خفيت عنه الحقائق الاعتيادية، وكلما بينها له القرآن لم ينتقل إلى أعلى، كما لو وصفت الطريق للسائر في الظلام. وجيء في الظلمات بلفظ الجمع لأنه الغالب في الاستعمال فهم لا يذكرون الظلمة إلا بصيغة الجمع. وقد تقدم في قوله وجعل الظلمات والنور في الأنعام.³⁵

ذهب ابن عطية في هذه المسألة حيث قال (ولا ظلمات ونور)، (ولا نور وظلمات)، فغفل عن ذكر الأولى بدل الثانية وذكر هذه الآية تبين ما تركه.³⁶ وأما عند أبو السعود في شرحه إنه لا باطل ولا حق، وقد جمع بين أفراد الظلمة والنور لتنوع فن الباطل ووحدة الحق.³⁷ وبعد الرجوع إلى التفاسير السابقة

³² Aṭīyah., “Al-Muḥarrar al-Wajīz Fī Tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz, Al-Mujallad al-Sānī,” 266–67.

³³ Abū Al-Su‘ūd, “Irsyād al-‘Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm, Al-Juz al-Khāmis” (Bairūt, n.d.), 13.

³⁴ Ibnu ‘Āsyūr., “Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juz al-Sānī wa al-‘Isyrūn,” n.d., 292.

³⁵ ‘Āsyūr., 293.

³⁶ Ibnu ‘Aṭīyah., “Al-Muḥarrar al-Wajīz Fī Tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz, Al-Mujallad al-Rābi” (Bairūt, n.d.), 435.

³⁷ Al-Su‘ūd, “Irsyād al-‘Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm, Al-Juz al-Khāmis,” 149.

اكتشف الباحث ما قاله بعض المفسرين عن الظلمات والنور، فلخص النقاط الأساسية في الآيات السابقة بما يلي:

أولاً: كل ما في القرآن من الظلمات إلى النور يعني الكفر والإيمان، إلا ما قال تعالى في سورة الأنعام الآية 1: يعني الليل والنهار.³⁸ ثانياً: الإشارة إلى الظلمة والنور مبنية على استعمال اللفظ مجازاً للتضليل والهداية، ومبنية على تشبيه حال الكافر، كحال الظلمة ناقصة الإدراك. الأشياء المرئية، وحالات الاستنارة وتوجيه النور.³⁹ ثالثاً: بما أن الظلمات والنور مذكوران معا فإن فيه عملية تدل على وجود علاقة وثيقة في وجود الهدى، أي التحول من الضلال إلى الحق، كما قال الله تعالى في سورة البقرة 257 وغيرها. ومن ذكرهما معاً. رابعاً: كلمة "الظلمات" وردت بصيغة الجمع في كل مكان في القرآن وليس بصيغة المفرد، وكذلك كلمة "النور" وردت أيضاً بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع.⁴⁰

التحليل عن شكل الجمع في لفظ "الظلمات" و شكل المفرد في لفظ "النور"

بعد أن قام الباحث بالبحث عن كلمتي الظلمات والنور في القرآن الكريم، وجد أن كلمة الظلمات تظهر فقط في صيغة الجمع، بينما كلمة النور تظهر فقط في صيغة المفرد. لذلك، قرر الباحث الكشف عن هذا الاختلاف: بعد أن قام الباحث بالبحث عن كلمة الظلمات والنور في القرآن الكريم، اكتشف أن كلمة الظلمات تظهر فقط في صيغة الجمع، بينما كلمة النور تظهر فقط في صيغة المفرد. وبناءً على ذلك، قرر الباحث الكشف عن هذا الاختلاف.

قام ابن عاشور في تفسيره بالقول بإن جمع الظلمات واستخدام النور في المفرد يعود إلى الاستعمال، حيث إن استخدام الظلمات في الجمع أخف، واستخدام النور في المفرد أخف أيضاً. ولذلك، لم يتم ذكر كلمة الظلمات إلا في صيغة الجمع في القرآن، ولم يتم ذكر كلمة النور إلا في صيغة المفرد. وهما يشيران إلى نوع الشيء، حيث يعتبر التعريف بالجنس فيهما متساوياً بين المفرد والجمع.⁴¹

³⁸ Abū Ḥayyān, "Al-Bahr al-Muḥīṭ fī Tafsīr, Al-Mujallad al-Šānī" (Bairūt, n.d.), 294.

³⁹ Āsyūr., "Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juḡ al-Šālīs 'Asyar," 114-15.

⁴⁰ Al-Suyūṭī, *Abd al-Rahman bin Abī Bakar bin Muḥammad ibn Sābiq al-Dīn al-Khuḍayyī. Al-Itqān fī 'Ulūm al-Qurān* (Al-Qāhirah: Maṭba'ah Ḥijāzī, 1429), 194.

⁴¹ Āsyūr., "Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juḡ al-Šābi'," 127.

فإن المسار نحو الحق واحد، ولكن المسارات الباطلة متنوعة، والحكمة وراء ذلك هي أن النور مصدره الواحد وهو الله. قال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (النور : 35).⁴²

أما (الظلمات) تنوعت وتعددت مصادرهما وأسبابهما، كالشياطين، والأهواء، والأوثان، ورفاق السوء، والأصنام، ولهذا تنوعت وتعددت الظلمات لتعدد مصادرهما كما قال الله تعالى ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.⁴³ فسر الثعلبي في تفسيره أن تقسيم النور والظلمات هو بين ليل ونهار، والواقدي يستنتج من هذه الآية أنها تشير إلى الليل والنهار. وقال الحسن إن تقسيم الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان، وقال قتادة إنه يعني الجنة والنار. أفرد القرآن الكريم لفظ النور وجمع الظلمات، لأن النور يتعدى والظلمات لا، وهذا لأن الظلمات متنوعة بينما النور واحد.⁴⁴

وربط الزمخشري بين الظلمات والنور بحسب اختلافها وتنوعها،⁴⁵ معتبراً أن النور هو سبيل الحق، بينما الظلمات سبيل الباطل كما قال الله تعالى في القرآن الكريم على السرّ ذلك في قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: 153). إن الاسرار في تفريد النور وجمع الظلمات لها أسباب معينة، بما في ذلك أن النور مصدره واحد وهو الله، بينما الظلمات لها مصادر متعددة.⁴⁶ قد تحتوي الظلمات على الشياطين والأصنام والأوثان والأهواء، مما يجعلها متنوعة. إن النور يتعدى ويجمع لفظ الظلمات بناءً على تعدد مصادرهما. واختلاف الأجناس والأجرام كان سبباً آخر في جمع الظلمات، بينما اتحاد الجنس النار كان سبباً لأفراد النور. هذا يدعم تفريد النور بأنه سبيل الحق، بينما يعبر الظلمات عن الباطل والطرق المتعددة التي يمكن اتباعها.

⁴² Al-Ṭībī, “Syaraf al-Dīn al-Ḥusain ibn Muḥammad ibn ‘Abdillah. Futūḥ al-Gaib Fī al-Kasyf ‘an Qinā’i al-Raib” (Dubai, n.d.), 9.

⁴³ Al-Ṭībī, 9.

⁴⁴ Al-Ṣa’labī, “Abū Ishāq Ahmad bin Muḥammad bin Ibrāhīm. Al-Kasyf wa al-Bayān ‘an Tafsīr al-Qur’ān,” *Dār al-Tafsīr*, 2015, 21–22.

⁴⁵ Al-Zamakhsyari, “Al-Kasyf ‘an Ḥaqāiq al-Tanzīl wa ‘Uyūn al-Aqāwīl Fī Wujūh al-Tawīl,” 318.

⁴⁶ Al-Suyūṭī, *Abd al-Rahman bin Abī Bakar bin Muḥammad ibn Sābiq al-Dīn al-Khuḍayrī. Al-Itqān fī ‘Ulūm al-Qur’ān*, 194.

ولذا تنوّعت الظلمات لتعدد نواذرها مع إشارة الله تعالى إلى بعض هذه الأسباب في القرآن. تعددت وتنوعت مصادر الظلمات وأسبابها كالشياطين والأهواء والأوثان والأصنام، كما ذكر الله تعالى في القرآن. من هنا، فإن الظلمات تنوّعت وازدادت لتعدد مصادرها كما أوضحت الآيات القرآنية. الأسباب وراء تفرد النور بالمفرد وجمع الظلمات بالجمع لها أسباب مختلفة، بما في ذلك أن النور مصدره الواحد وهو الله، بينما الظلمات تنشأ من مصادر متعددة. هذا يؤكد على تعدد وتنوّع مصادر الظلمات ومحدودية النور إلى مصدر واحد، وذلك بحسب تفسير الباحثين المختلفين.

ومن هنا يعرف أن الأسرار في أفراد النور وجمع الظلمات، لها أسباب معينة. أولاً، أفرد لفظ النور في القرآن لأن مصدره واحد وهو الله سبحانه وتعالى وجمع لفظ الظلمات لتعدد مصادرها كالشياطين، والأصنام والأوثان، والأهواء، ورفاق السوء؛⁴⁷ ثانياً، إنما جمع الظلمات ووجد النور لأن النور يتعدى والظلمة لا تتعدى؛⁴⁸ ثالثاً، إن جمع الظلمات لاختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من أجناس الأجرام، و أفراد النور لاتحاد الجنس الذي ينشأ عنه، وهو النار؛ رابعاً، النور هو كمنزلة الحق والطريق إليه واحد، و الظلمات هي كمنزلة الباطل والطرق إليه متعددة متشعبة.⁴⁹

أسرار التقديم والتأخير لكلمتي الظلمات والنور

كان القرآن الكريم يتميز بعدة أنواع من الإعجاز، مثل الإعجاز اللغوي والإعجاز التشريعي والإعجاز العددي والإعجاز العلمي وغيرها. بعد النظر إلى الآيات السابقة في القرآن الكريم التي تتحدث عن الظلمات والنور، وجد الباحث على سر هذا الأمر. يحمل مصطلح الظلمات والنور معنى حقيقياً، حيث يرمز الظلمات إلى الشرك والنفق والكفر، والنور يعني الإيمان والنبوة واليقين. بعد مقارنة الآيتين، يمكن فهم القول الذي يقول بأن الظلمات تعني الليل والنور يعني النهار، أو أن الظلمات تعني الكفر والنور يعني الإيمان، وأيضاً يمكن أن تعني الظلمات الجنة والنار. وتفصيل ذلك كما يلي:

حمل كلمتي الظلمات والنور على حقيقتها

⁴⁷ Al-Ṭībī, "Syaraf al-Dīn al-Ḥusain ibn Muḥammad ibn 'Abdillah. Futūḥ al-Gaib Fī al-Kasyf 'an Qinā'i al-Raib," 9.

⁴⁸ Al-Ṣa'labī, "Abū Ishāq Ahmad bin Muḥammad bin Ibrāhīm. Al-Kasyf wa al-Bayān 'an Tafsīr al-Qurān," 21-22.

⁴⁹ Al-Zamakhsyari, "Al-Kasyf 'an Ḥaqāiq al-Tanzīl wa 'Uyūn al-Aqāwīl Fī Wujūh al-Tawīl," 318.

ذهب فخر الدين في لفظ (الظلمات والنور) بأن المراد منهما الأمران المحسوسان بحس البصر والذي يقوي ذلك أن اللفظ حقيقة فيهما. وكذلك هذان الأمران إذا جعلنا مقرونين بذكر السموات والأرض، فإنه لا يفهم منهما إلا هاتان الكيفيتان المحسوستان وكذلك نقل الواحدي عن ابن عباس أنه قال: (وَجَعَلَ الظلمات والنور) أي ظلمة الشرك والنفق والكفر والنور يريد نور الإسلام والإيمان والنبوة واليقين. ونقل عن الحسن أنه قال يعني الكفر والإيمان، ولا تفاوت بين هذين القولين، فكان قول الحسن كالتلخيص لقول ابن عباس.⁵⁰

ولقائل أن يقول حمل اللفظ على الوجه الأول أولى، لما ذكرنا أن الأصل حمل اللفظ على حقيقته، ولأن الظلمات والنور إذا كان ذكرهما مقرونا بالسموات والأرض لم يفهم منه إلا ما ذكرناه. قال الواحدي والأولى حمل اللفظ عليهما معا. وأقول هذا مشكل لأنه حمل اللفظ على مجازه، واللفظ الواحد بالاعتبار الواحد لا يمكن حمله على حقيقته ومجازه معا.⁵¹

ويرى الثعلبي في قوله تعالى (وجعل الظلمات والنور) قال السدي يعني ظلمة الليل ونور النهار. وقال الواحدي كل ما في القرآن من الظلمات والنور يعني الكفر والإيمان. وقال قتادة يعني الجنة والنار.⁵²

الظلمة متقدمة في التقدير والتحقيق على النور

في مسألة التقديم والتأخير، يجد الباحث نظرة قتادة كلاما واضحا بإن خلق الله السماوات قبل الأرض والظلمة قبل النور والجنة قبل النار اعتبارا لهتين كلمتين. وأكد وهب أول ما خلق الله مكانا مظلما ثم خلق جوهرة فصارت ذلك المكان، ثم نظر إلى الجوهرة نظر الهيئة فصارت دما فارتفع بخارها وزيدها، فخلق من البخار السماوات ومن الزيد الأرضين.⁵³

وروى عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه يومئذ من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل).⁵⁴

يناسب بذلك، رأي الرازي بقوله إنما قدم ذكر الظلمات على ذكر النور لأجل أن الظلمة عبارة عن عدم النور عن الجسم الذي من شأنه قبول النور، وليست عبارة عن كيفية وجودية مضادة للنور،

⁵⁰ Fakhruddin Ar-Rāzī, "Mafātīh Al-Gaib, Al-Juz' al-Sānī 'Asyara," n.d., 159–60.

⁵¹ Al-Ša'labī, "Abū Ishāq Ahmad bin Muḥammad bin Ibrāhīm. Al-Kasyf wa al-Bayān 'an Tafsīr al-Qurān," 160.

⁵² Al-Ša'labī, 21–22.

⁵³ Al-Ša'labī, 22.

⁵⁴ Al-Ša'labī, 22–23.

والدليل عليه أنه إذا جلس إنسان بقرب السراج، وجلس إنسان آخر بالبعد منه، فإن البعيد يرى القريب ويرى ذلك الهواء صافيا مضيئا، وأما القريب فإنه لا يرى البعيد ويرى ذلك الهواء مظلمًا، فلو كانت الظلمة كيفية وجودية لكانت حاصلة بالنسبة إلى هذين الشخصين المذكورين، وحيث لم يكن الأمر كذلك علمنا أن الظلمة ليست كيفية وجودية.⁵⁵

وإذ ثبت هذا فالقول عدم المحدثات متقدم على وجودها، فالظلمة متقدمة في التقدير والتحقق على النور، فوجب تقديمها في اللفظ، ومما يقوي ذلك ما يروى في الأخبار الإلهية أنه تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره.⁵⁶

وإما ابن عاشور وضح بيان في إثبات الظلمات والتور بالذكر دون غيرها من الأعراض إيماء وتعريضاً بحالي المخاطبين بالآية من كفر فريق وإيمان فريق، فإن الكفر يشبه الظلمة لأنه انغماس في جهالة وحيرة، والإيمان يشبه التور لأنه استبانة الهدى والحق. قال تعالى (يُجْرِبُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (البقرة: ٢٥٧). وقدّم ذكر الظلمات مراعاة للترتيب في الوجود لأن الظلمة سابقة التور، فإن التور حصل بعد خلق الذوات المضيئة، وكانت الظلمة عامّة.⁵⁷

الأعدام مقدمة على الملكات

للألوسي فكرة بينة في مسألة الأعدام مقدمة على الملكات، وفي الفرق بين النور والضوء في سورة البقرة، وكذا الكلام في الظلمة والنسبة بينها وبين النور. والمشهور أن بينهما تقابل العدم والملكة، ولهذا قدمت الظلمات على النور في الآية الكريمة، فقد صرحوا بأن الأعدام مقدمة على الملكات.⁵⁸

وتحقيق ذلك على ما ذكره بعض المحققين أنه إذا تقابل شيئان أحدهما وجودي فقط، فإن اعتبر التقابل بالنسبة إلى موضوع قابل للأمر الوجودي، إما بحسب شخصه، أو بحسب نوعه، أو بحسب جنسه القريب، أو البعيد، فهما العدم والملكة الحقيقيان، أو بحسب الوقت الذي يمكن حصوله فيه، فهما العدم والملكة المشهوران، وإن لم يعتبر فيهما ذلك، فهما السلب والإيجاب. فالعدم المشهور في العمى والبصر هو

⁵⁵ Ar-Rāzī, "Mafātīh Al-Gaib, Al-Juz al-Sānī 'Asyara," 160.

⁵⁶ Ar-Rāzī, 160.

⁵⁷ Āsyūr., "Al-Tahrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juz al-Sābi'," 127–28.

⁵⁸ Al-Bagdādī, *Syihabuddīn Abī Al-Šanq Maḥmūd bin 'Abdullah Al-Ālūsī. Rūh al-Ma'ānī Fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Azīm Wa al-Sab' al-Mašānī, Al-Juz al-Šāmin* (Bairūt: Muassasah al-Risālah, 2010), 21.

ارتفاع الشيء الوجودي كالقدرة على الإبصار مع ما ينشأ من المادة المهيأة لقبوله في الوقت الذي من شأنها ذلك فيه، كما حقق في (حكمة العين)، وشرحها.⁵⁹

وعليه الظلمة في الخبر بمعنى العدم، والنور بمعنى الوجود. وقال ميرزاجان: لا بد في تقابل العدم والمملكة أن يؤخذ في مفهوم العدمي كون المحل قابلاً للوجودي، ولا يكفي نسبة العدمي إلى المحل القابل للوجودي من غير أن يعتبر في مفهوم العدمي كون المحل قابلاً له، ولذا صرحوا بأن تقابل العدم والوجود تقابل الإيجاب والسلب.⁶⁰

فإذا تحقق أن كل قابل لأمر وجودي في ابتداء قابليته واستعداده متصف بذلك العدم قبل وجود ذلك الأمر بالفعل، تبين أن كل ملكة مسبقة بعدمها، لأن وجود تلك الصفة بالقوة، وهو متقدم على وجودها بالفعل. إنما قدم الظلمات على النور لأن عدم المحدثات متقدم على وجودها كما جاء في حديث وراه أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص: "أن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وفي أخرى ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه نوره اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك جف القلم بما هو كائن".⁶¹

بعد النظرة إلى أقوال المفسرين فرأى الباحث أن أسرار تقديم ذكر الظلمات مراعاة للترتيب في الوجود لأنّ الظلمة سابقة النور، فإنّ النور حصل بعد خلق الدّوات المضيئة، وكانت الظلمة عامّة. وكان تقديم الظلمات على النور بسبب ترتيب وجود خلقه. ذكر الظلمات مقدمة مراعاة للترتيب في الوجود لأنّ الظلمة سابقة النور، فإنّ النور حصل بعد خلق الدّوات المضيئة، وكانت الظلمة عامّة. وكان تقديم الظلمات على النور بسبب ترتيب وجود خلقه. إنما قدم ذكر الظلمات على ذكر النور لأجل أن الظلمة عبارة عن عدم النور عن الجسم الذي من شأنه قبول النور، وليست عبارة عن كيفية وجودية مضادة للنور. الظلمة متقدمة في التقدير والتحقيق على النور، فوجب تقديمها في اللفظ، ومما يقوي ذلك ما يروى في الأخبار الإلهية أنه تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره.

نتائج البحث

⁵⁹ Al-Bagdādī, 22.

⁶⁰ Al-Ālūsī, *Rūh al-Ma'ānī Fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Azīm Wa al-Sab' al-Mašānī, Al-Juz al-Šāmin* (Bairūt: Muassasah al-Risālah, 2010), 22.

⁶¹ Al-Ālūsī, 22–23.

إن كلمة الظلمات والنور في القرآن معجزة بلغت السليمة لكونهما من الإعجاز اللغوي والبياني، حيث فيه الأسرار والحكم في بيان معانيهما عن التقديم والتأخير، أسرار التكرار في لفظه، وعرف الباحث على أنّ لفظ الظلمات والنور لهما العلاقة الوثيقة. ومنها أن أكثر كلمة الظلمات والنور في القرآن بمعنى الكفر والإيمان. فذكر الظلمات والنور وقعا لهذا اللفظ لاستعارة على الضلالة والهدى، ووقعا على التشبيه بحال الكفار كحال الظلمة في عدم إدراك المبصرات، وحال النور في الإفاضة والإرشاد. لما كان ذكر الظلمات والنور معا فيه عملية تشير إلى وجود العلاقة الوثيقة في وجود توجيه الهداية، أي التغيير من الضلالة إلى الحق كقوله تعالى في سورة البقرة 257، وغيرها ما يذكرها معا.

وكان من الأسرار في أفراد النور وجمع الظلمات في القرآن الكريم هي أن مصدره واحد وهو الله سبحانه وتعالى وجمع لفظ الظلمات لتعدد مصادرها كالشياطين، والأصنام والأوثان، والأهواء، ورفاق السوء. وإنما جمع الظلمات ووجد النور لأن النور يتعدى والظلمة لا تتعدى. يعني أن جمع الظلمات لاختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من أجناس الأجرام، وإفراد النور لاتحاد الجنس الذي ينشأ عنه، وهو النار. هنا، النور هو كمنزلة الحق والطريق إليه واحدة، والظلمات هي كمنزلة الباطل والطريق إليه متعددة متشعبة.

وكان أسرار في التقديم والتأخير لكلمتي الظلمات والنور، كان ذكر الظلمات مقدمة مراعاة للترتيب في الوجود لأنّ الظلمة سابقة النور، فإنّ النور حصل بعد خلق الدّوات المضيئة، وكانت الظلمة عامّة. وكان تقديم الظلمات على النور بسبب ترتيب وجود خلقه. وإنما قدم ذكر الظلمات على ذكر النور لأجل أن الظلمة عبارة عن عدم النور عن الجسم الذي من شأنه قبول النور، وليست عبارة عن كيفية وجودية مضادة للنور. فلو كانت الظلمة كيفية وجودية، وحيث لم يكن الأمر كذلك أن الظلمة ليست كيفية وجودية. أي، أن الظلمة متقدمة في التقدير والتحقق على النور، فوجب تقديمها في اللفظ، ومما يقوي ذلك ما يروى في الأخبار الإلهية أنه تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليهم من نوره.

REFERENCES

Al-Ālūsī. *Rūh al-Ma'ānī Fī Tafṣīr al-Qur'ān al-'Aẓīm Wa al-Sab' al-Mašānī, Al-Juz al-Šāmin*. Bairūt: Muassasah al-Risālah, 2010.

Al-Bagdādī. *Syihabuddin Abī Al-Šanq Maḥmūd bin 'Abdullah Al-Ālūsī. Rūh al-Ma'ānī Fī Tafṣīr al-Qur'ān al-'Aẓīm Wa al-Sab' al-Mašānī, Al-Juz al-Šāmin*. Bairūt: Muassasah al-Risālah, 2010.

Al-Bāqī, Muḥammad Fuād 'Abd. *Al-Mu'jam al-Mufahras li al-Fōẓi al-Qur'ān al-Karīm*. Mesir: Dār al-Ḥadīś, 2007.

Ali Al-Zain Al-Syarif Al-Jurjani, Ali. *Al-Ta'rifat*. Beirut: Dar Al-Maktabah Al-Ilmiyyah, 1983.

Al-Jurjani, Abd Al-Qadir. *Dalail Al-I'jaz fi Ilmi Al-Ma'ani*. Cairo: Mathba'ah Al-Madani, 1992.

Al-Manawi, Zainuddin Muhammad. *Al-Tawfiq Ala Muhimmat Al-Ta'arif*. Cairo: Alim Al-Kutub, 1999.

Al-Miṣrī, Abū Al-Faḍl Jamāl al-Dīn bin Muḥammad bin Mukram bin Manẓūr Al-Fikrī. *Lisān al-'Arab*. Bairūt: Dār al-Šādir, s.l, n.d.

Al-Sa'adat, Mujid Al-Din Abu. *Jami' Al-Usul fi Ahadis Al-Rasul*. Vol. Juz 4. Damaskus: Maktabah Al-Hilwani, 1972.

Al-Ša'labī. "Abū Ishāq Ahmad bin Muḥammad bin Ibrāhīm. Al-Kasyf wa al-Bayān 'an Tafṣīr al-Qur'ān." *Dār al-Tafṣīr*, 2015.

Al-Su'ūd, Abū. "Irsyād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm, Al-Juz al-Khāmis." Bairūt, n.d.

Al-Suyūṭī. *Abd al-Rahman bin Abī Bakar bin Muḥammad ibn Sābiq al-Dīn al-Khuḍaynī. Al-Itqān fi 'Ulūm al-Qur'ān*. Al-Qāhirah: Maṭba'ah Ḥijāzī, 1429.

Al-Ṭabaristānī, Abū 'Abdullāh Muḥammad bin 'Umar bin Al-Hasan bin Al-Husain bin 'Alī Al-Rāzī. *Mafātīh al-Gaib*. Lubnān: Dār al-Fiki, 1041.

Al-Ṭībī. "Syaraf al-Dīn al-Ḥusain ibn Muḥammad ibn 'Abdillah. Futūḥ al-Gaib Fī al-Kasyf 'an Qinā'i al-Raib." Dubai, n.d.

Al-Yamani, Ibn Sa'id Al-Humayri. *Syams Ulum wa Dawa'i Kalam Al-Arab min Al-Kalum*. Vol. Juz 8. Beirut: Dar Al-Fikr Al-Mu'asyir, 1999.

Al-Zamakhsyari. "Al-Kasysyāf 'an Ḥaqqīq al-Tanzīl wa 'Uyūn al-Aqāwīl Fī Wujūh al-Tawīl." Bairūt, n.d.

Anīs, Ibrāhīm. "Al-Mu'jam al-Wasīṭ, al-Ṭab'ah al-Rābi," 2004.

Ar-Rāzī, Fakhruddin. "Mafātīh Al-Gaib, Al-Juz al-Šānī 'Asyara," n.d.

As-Sa'di, Abdurrahman Bin Nasir. *Tafṣīr Asma' Allah Al-Husna*. Madinah: Matba'ah Al-Jami'ah Al-Munawwarah, 2001.

As-Samraī. "Fadil Soleh, Asrar at-Ta'bir al-Qur'ani." *Jami'ah Sariqah*, 2002.

'Āsyūr., Ibnu. "Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juz al-Sābi'," n.d.

———. "Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juz al-Šālīs 'Asyar," n.d.

———. “Al-Taḥrīr wa Al-Tanwīr, Al-Juz al-Šānī wa al-‘Isyrūn,” n.d.

‘Aṭṭīyah., Ibnu. “Al-Muḥarrar al-Wajīz Fī Tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz, Al-Mujallad al-Rābi.” Bairūt, n.d.

———. “Al-Muḥarrar al-Wajīz Fī Tafsīr al-Kitāb al-‘Azīz, Al-Mujallad al-Šānī.” Bairūt, n.d.

Ḥayyān, Abū. “Al-Bahr al-Muḥiṭ fī Tafsīr, Al-Mujallad al-Šānī.” Bairūt, n.d.

Mufradāt Alfāz al-Qurān. Dār al-Qalam, 1430.

Muhammad Al-‘Amadi, Abu Al-Su’ud Muhammad. “Irsyad Al-Aql Al-Salim ila Mazaya Al-Qur’an Al-Karim.” *Juz 1* (n.d.).

Wardah, Lailatul, and Syarifuddin Ala Dzil Fikri. “Al-Taqdim wa Al-Ta’khīr: Linguistic Rules in Quranic Interpretation.” *Al-Karim International Journal of Quranic and Islamic Studies* 1, no. ue 2 (September 2023).

Yusuf Al-Samin Al-Halbiy, Abu Al-‘Abbas Syihab Al-Din Ahmad. *Al-Durr Al-Masun fī ‘Ulum al-Kitab Al-Maknun*. Vol. Juz.1. Makkah: Dar al-Qalam, d.s.

Zakariyyā. *Abū Al-Husain Aḥmad bin Fāris. Maqāyīs al-Lughah, Al-Juz al-Sādis, Al-Ṭab’ah al-Šānīyah*. Bairūt: Dār al-Fikri, 1979.

———. *Abū Al-Husain Aḥmad bin Fāris. Maqāyīs al-Lughah, Al-Juz al-Šālīs, Al-Ṭab’ah al-Šānīyah*. Bairūt: Dār al-Fikri, 1979.